الدكتورة خيرة قصري (م) عون

قسم اللغة العربية وآدابها

كلية الآداب واللغات

جامعة عبد الرحمان ميرة ـ بجاية ـ الجزائر

<u>عنوان المقال</u> : متى تصبح أقسام اللغة العربية وآدابها في الجامعات مراكز استقطاب للباحثين والدارسين ؟ (أقسام الجامعة الجزائرية نموذجا)

يواجه التعليم العالي في كل أقطار المعمورة العديد من الصعوبات والتحديات المعيقة أو المعطلة لتحقيق الأهداف الآنية والمستقبلية ، وليس العالم العربي بمنآى عن ذلك ، فهو بدوره يعاني من انعكاسات التغير والتطور السريع للمعرفة والمعلوماتية وتكنولوجيا الاتصال وغيرها ، وتتفاوت حدة الانعكاسات من بلد عربي لآخر : (يواجه التعليم العالي العربي في وقتنا المعاصر العديد من التحديات والصعوبات التي قد تعيقه في تحقيق أهدافه وتطلعاته الحالية والمستقبلية ، وتأتي هذه التحديات نتيجة انعكاسات التغييرات العالمية المختلفة كالمعلوماتية والتكنولوجية والاقتصادية وغيرها ، كما تتراوح في حدتها و حجمها من دولة عربية إلى أخرى ، إلا انه في مجملها تشترك في عدد من العوامل مثل : عجز التعليم العالي عن استيعاب آلاف من خريجي وخريجات الثانوية وضعف التمويل ومحدودية البرامج والتخصصات ، ونمطية أساليب التعليم والتعلم)[1] .

وعليه تواجه الجامعة الجزائرية على غرار بعض الجامعات العربية صعوبة في مسايرة تطور المعرفة العلمية وتكنولوجيا الاتصال ، فتبدو وتيرة مواكبة التحولات بطيئة بسبب الظروف الخاصة بالجامعة الجزائرية ، ويظهر ذلك من خلال تضخم أعداد الطلبة وضعف المستوى ،ثم نقص تأهيل هيئة التدريس، حيث تبقى قدرتها غير كافية لضمان متطلبات التعليم الجامعي المعاصر وجودته .

يتجلى بطؤ وتيرة مواكبة التغيرات الناجمة عن العولمة في مجال التعليم بتفاوت لدى أقسام الكليات بالجامعة الجزائرية ومن بينها أقسام كلية الآداب واللغات ، التي تتميز بعدم قدرتها ، بل بعجزها عن مسايرة تطور المعرفة العلمية و تكنولوجيا المعلومة ، نظرا لخصوصية الفاعلين فيها ، الطلبة ، أعضاء هيئة التدريس والمسيرين ، إذ أن أغلبهم **أدبيين** ، يفتقرون إلى المنهج العلمي ومنه التنظيم و التفكير العلمي ، بمختلف آلياته وهي الملاحظة والاستنتاج الحدسي والمنطقي والتجريد والقياس والتعميم وغيرها ، مما تتطلبه عملية فهم الظواهر اللغوية والأدبية و والإنسانية في بعدها الكوني والمحلي ، كما يعوزهم الحد الأدنى من المعرفة بالإعلام الآلي ـ خاصة طلبة وأعضاء هيئة التدريس بأقسام اللغة العربية وآدابها ـ ، التي تسمح لهم بالوصول إلى المعلومات ، و معالجة النصوص وتوصيف نحو اللغة

العربية وصرفها ومعجمها ، و حوسبتها ، ويضاف إليها عدم الوعي برمزية اللغة العربية وابتكاريتها ومرونتها ، إذ توفر لمستعمليها قدرة على مواجهة تغيرات الواقع ومتطلباته ، وزيادة على مواطن الضعف المذكورة يلاحظ ضعف لدى هيئة التدريس تمثل في عدم القدرة على الكتابة العلمية والتأليف فيما يحتاجه الطالب من وثائق تعليمية ، وطبقا لما سبق ذكره فإننا نسعى عبر هذا البحث إلى تحقيق هدفين أساسيين هما :

ـ تشخيص واقع التكوين في أقسام اللغة العربية بالجامعة الجزائرية ، في ضوء واقع أقسام اللغة العربية في الجامعات العربية باعتبار الأولى جزء من كل وفرعا من أصل .

ـ تقديم اقتراحات عملية ، يمكن أن تساعد على تحويل هذه الأقسام إلى مراكز جلب للباحثين والدارسين وأقطاب إشعاع للغة العربية والثقافة العربية الاسلامية .

I ـ تشخيص واقع أقسام اللغه العربية وآدابها (انجازات متصدعة)

يستند هذا البحث إلى خلفية معرفية حول دور هذه الأقسام في الحفاظ على الهوية الثقافية للأغلبية من سكان الجزائر ، ألا وهي الهوية العربية الاسلامية التي تواجه خطر العولمة الثقافية واللغوية و تحدياتها، إذ تحدق بالعربية في الجزائر ـ كباقي الدول العربية ـ أخطارا منها منافسة اللغات الأجنبية لها : (في ظل العولمة وثورة المعلومات تتعرض العربية لحركة تهميش نشطة بفعل الضغوط الناجمة عن طغيان اللغة الإنجليزية على الصعيد السياسي والاقتصادي والتكنولوجي والمعلوماتي ، ـ وتشارك العربية في ذلك ـ معظم لغات العالم ، إلا أنها تواجه تحديات إضافية نتيجة للحملة الضارية التي تشنها العولمة ضد الاسلام وبالتالي ضد العربية نظرا إلى شدة الارتباط بينهما) [2] فيزداد العبء وتعظم مسئولية القائمين على شؤون أقسام اللغة العربية وآدابها ،أعضاء هيئة الاشراف وهيئة التدريس ، مما يقتضي بذل جهود قصوى ، لتكون هذه الأقسام في مستوى التحديات ، وفية لرسالتها الحضارية التي انشئت من أجلها : (ومما لاشك فيه أن أقسام اللغة العربية وآدابها قد أنشئت في الجامعات العربية على وجه التقريب منذ قرن ونصف من الزمن لتكون عنوانا من عناوين هوية الأمة وعلامة من علامات نهوضها ، فلغة الأمة وآدابها من أبرز الدفاعات التي تشهرها الشعوب في حال تعرض هويتها لمحنة الاستلاب وقوى التغريب وارتبطت نشأة هذه الأقسام من جهة أخرى بفكرة بناء الدولة المعاصرة ، لتكون دليلا من أدلة استقلالها وشكلا من أشكال حنينها إلى أمجادها وهدفا من أهدافها وتطلعاتها إلى تحقيق التقدم الانساني والرقي المعرفي والرخاء الاجتماعي ، وسبيلا من سبل ارساء تقاليد المدنية والانفتاح الحضاري و الانعتاق من الجهل والتخلف والتقليد الماضوي وطريقا تنشد ترسيخ المفاهيم الانسانية الرفيعة الممثلة في العدالة والحرية والكرامة والقانون والمساواة) [3]

إن السلف الصالح الذي اسس لوجود أقسام اللغة العربية في الدول العربية ، بما فيها الجزائر كان يأمل أن تكون المولد والخزان للثقافة العربية ، ومرآة تعكس قوتها ومجدها و صمودها في وجه الزمن على الرغم من شراسته لكن وبمرارة : (إن الثقافة العربية المعاصرة تتصف بضحالة مؤلمة كما وكيفا فهي فاقدة للنفس والتقنية ، وهما خاصيتان ملحوظتان فيها ، فضلا عما هنالك في الميدان الأدبي خاصة من سذاجة بدون طلاوة تعكس بصورة مشبوهة عالما ساذجا قطعا ، إنما المظهر الانساني فيه يبدو شفافا للنظر المتيقظ . وليس الضمير الثقافي العربي مجدبا وحسب ، بل إنه مفكك وخاضع خضوعا عميقا للحضور المباشر وغير المباشر للغرب . وهو من وجه مخالف منطو على نفسه وعلى صور تجاوزها

العصر وهو لا محالة مقطوع عن الواقع والجدلية التاريخية التي هي بصدد التكون و في الجملة . فهو عاجز عن تحمل حقيقته ، وتحمل العالمية وتحمل التاريخ ـ نعني تاريخ الفكر ـ)[4]

لو أصغينا لمثل هذه الأصوات ـ بغض النظر عن حسن نية أصحابها أو سوئها ـ لما غفلنا عن الرسالة الأساسية لأقسام اللغة العربية وآدابها ، ولحفظنا عهد الأسلاف من خلال الرعاية اللازمة والسهر الدائم على أحوال هذه الأقسام ، بالعمل الجاد لجعلها في مستوى الرسالة المنيطة بها ، والمهام الشاقة التي تنتظرها على صعيد تكوين الكفايات العقلية و المهنية والأكاديمية والفكرية الثقافية : (ولا شك في أن مهمة تجديد العقل العربي مهمة شاقة للغاية سواء على المستوى الأكاديمي أو التنويري أو الإعلامي ويرى الكاتب ضرورة استغلال تكنولوجيا المعلومات كأداة لتعميق الفكر الثقافي لتوطين تكنولوجيا المعلومات في التربية العربية ويقترح هنا مداخل أساسية عدة للاستراتيجيات السياسية والاقتصادية والثقافية والإعلامية والتربوية والمعلوماتية)[5] .

التشخيص الذي نضعه في هذه لأوراق ، لواقع أقسام اللغة العربية وآدابها نابع من معايشة فعلية للظروف المختلفة التي عرفتها الجامعة الجزائرية منذ 1977 إلى يومنا هذا ، و عن تجربة في التدريس بإحدى أعرق الجامعات الجزائري ـ جامعة منتوري ، قسنطيينة ـ وقبلها كطالبة في جامعة عنابة ، تلك الظروف التي تميزت بصراع المرجعيات الفكرية فيما يخص تعريب الجامعة الجزائرية أي تعريب العلوم والمخاض العسير لتجربة التعريب ، إذ تحملت أقسام اللغة العربية مسئولية جسيمة فيما يتعلق بالنتائج المحققة الإيجابية منها والسلبية ، ثم ظلت تعاني من انعكاسات ذلك الصراع على مختلف الأصعدة ، وكانت يومها حاملة لمشروع التعريب ومدافعة عنه ،على الرغم من قلة العدد والعدة وعلى الرغم من شدة الاختلاف الفكري بين أعضاء هيئة التدريس ، و ظلت تعاني من انعكاسات ذلك الصراع على مختلف الأصعدة .

تحدد ملامح أحوال أقسام اللغة العربية بصفة متطابقة مع سائر الأقسام في الوطن العربي من خلال: (إن صراع المرجعيات في أقسام اللغة العربية وآدابها أسهم في تعثر التخصص من الناحية الوظيفية لخريجيه، وأدى إلى تراجع الاقبال عليه عربيا في القرن الحادي والعشرين ، ومن آيات هذا التعثر أن خريجي تخصص العربية وآدابها لا يجدون في أسواق العمل سوى وظائف محددة أغلبها يرتبط بتعليم العربية وتدريسها ، علما أن أقسام اللغة العربية وآدابها لا تتضمن مقررات خاصة في مجالات التعليم والتربية والناظر في خطط أقسام اللغة العربية في الجامعات العربية ، يرى أنها أقسام تسعى إلى إعداد باحثين في علوم العربية وآدابها على الرغم من أن مستقبل خريجيها في الغالب الأعم يشدد من الناحية الوظيفية على الجانب التعليمي إن تعثر تخصص يتناول لغة وآداب قومية لأمة تملك تاريخا حضاريا ومعرفيا يبلغ ما يزيد على ثلاثة عشر قرنا ، يثير تساؤلات كثيرة ترتبط بأسباب تعثره وخفوت حضوره في الجامعات العربية ، وتراجع مكانة خريجيه في العالم العربي ولا أبالغ إذا ما قلت : إن تخصص العربية وآدابها في الجامعات العربية يحتاج إلى اصلاحات كبيرة من أجل إعادة تشكيل حضوره في الوجدان الاجتماعي والثقافي) [6] ، ونستنتج من هذا القول أن أهم تحد وجب رفعه هو العمل على إحياء المشاعر اللازمة للنهوض باللغة العربية و وبالثقافة العربية ، ألا وهي **حبها** و**الاعتزاز بها** و**الدفاع** عن مكانتها ووجودها و**التضحية من أجلها دون هوادة** ، ثم **التخلي عن الأنانية** و **التحيز والتعصب الأعمى لإيديولجية ما** والاتحاد من أجل **مصلحة لغتنا وثقافتنا وجعلها فوق كل اعتبار** دون أن ننسى ضرورة الفصل في التجاذب الذي ترفعه أقسام اللغة العربية وحتمية **اتحاد الاتجاه القومي والسلفي والتحديثي** لمواجهة اتجاه التغريب (... اتجاه التغريب وقد عنينا فيه بالتفرقة بين مصطلحي " التغريب " و " التحديث "

فالتغريب هو ذلك الاتجاه الذي يعبر فيه أصحابه عن ضرورة جعل (الغرب) الحضاري هو (المنبع) الرئيس الذي يجب أن تعب منه الثقافة العربية المعاصرة ونضيف إلى هؤلاء أيضا شريحة أخرى قريبة لا ترى مانعا من السماح بهامش صغير يستفاد فيه من (التراث العربي الاسلامي) عن طريق انتقاء ونقد تخضع للمنهج العلمي دون ما فوق . أما (التحديث) فهو اتجاه يعبر عن قبول أصحابه للتراث العربي الاسلامي كله مع تطعيمه ببعض العناصر المنتقاة من الحضارة الغربية أو قبولهما معا)[7] .

تتميز أقسام اللغة العربية ـ بصفة عامة ـ **بضعف خريجيها** وقلة تمكنهم على الصعيد اللغوي والأكاديمي والوظيفي وهو أمر يحظى بالإجماع لدى الغالبية من أعضاء هيئة التدريس، إذ يتوار في أقوال الاساتذة الحكم بالضعف وتدني المستوى وذلك خارج الاطار الرسمي وما يقتضيه من عدم الصراحة ومن تكتم على الحقائق ، ولنا في المعاينة التالية صورة صادقة لمستوى خريجي اقسام اللغة العربية بالجامعة الجزائرية : (على الرغم من الكم الهائل من المواد التي يتلقاها طالب قسم اللغة العربية وآدابها خلال السنوات الأربعة من التكوين ، فإن مستوى خريجي هذه الأقسام لا يعكس حجم المجهودات المبذولة، فالطالب المسجل في هذا الفرع يمضي في الطريق التعليمي إلى آخر شوط ثم يتخرج أميا أكاديميا أو شبه متعلم ، يعجز عن القراءة الجهرية المعبرة وعن كتابة مقال علمي أو أدبي أو خطاب وظيفي بلغة عربية سليمة من اللحن والأخطاء الفاحشة . فمعارفه اللغوية ، وكيفية استعماله للفصحى مشافهة وتحريرا لا تدل على شهاداتهم الجامعية ، وفي كثير من الأحيان تلقى المسئولية على عاتق الطالب ويبدو أمام بعضهم المسئول المباشر والأول والأخير عن هذا الضعف و الواقع أن أسبابا كثيرة ساهمت بنسب متفاوتة في خلق هذه الأزمة وعلى رأسها السياسة التربوية للمجتمع وغياب القرار السياسي الراشد والحاسم المؤسس على بحوث العلماء والخبراء وتجارب الشعوب والأمم الأخرى[8] .

إن من بين أسباب الرداءة لدى خريجي أقسام اللغة العربية إلى جانب غياب القرار السياسي سوء التخطيط والتوجيه لحشود الطلبة المتزايدة ، وما ترتب عنه من أخطاء في التنظيم والتسيير (فثمة تسيب كبير في استقبال حشود الطلبة الجدد أدى إلى تسيب أكبر في التكوين ، وذلك أن كل الأقسام يتم التسجيل فيها بشروط ما عدا قسم العربية وآدابها ، فهو المعهد الوحيد الذي يلجأ اليه المتحصلون على شهادة البكالوريا بمعدلات ضعيفة ، إذ يتوجه هؤلاء الطلبة مكرهين إلى قسم اللغة العربية لضان مقعد بيداغوجي (بتعبير السياسيين) لاسيما عندما تعوزهم الشروط للانخراط في الأقسام الأخرى)[9]، وقد أثر ذلك تأثيرا سلبيا على التكوين ، فأصبح الطالب غير قادر على اكتساب المعارف بسبب ضعفه في اللغة العربية وكذلك في اللغات الأجنبية بوصفها وسيلة للانفتاح على الثقافات الأخرى ، ثم لانعدام آليات اكتساب المعرفة لديه : (إن الطالب في وقتنا الحاضر لايسكنه فعل القراءة و لا يملك الملكات التحليلية والوظيفية ولا يجيد الملاحظة والمقارنة والبحث والاكتشاف وليس لديه فضول علمي .... وهكذا فإن الطلبة لا يقرؤون ـ في أحسن الحالات ـ إلا ما أملي عليهم في كراريسهم يحفظونه صما ثم يعيدونه يوم الامتحان أو يجتهدون في إيجاد الطرائق الملائمة للغش)[10].

يظهر الضعف أيضا لدى طلبة أقسام اللغة العربية في الجامعات الجزائرية على المستوى المنهجي عند إعداد المذكرات والبحوث الجامعية : (صار من ا لنادر أيضا أن نجد طالبا في الدراسات العليا قادرا على انجاز بحثه بمواصفات علمية ومنهجية مقبولة ... وقد لا يقتصر الأمر على الطلبة في التدرج وما بعد التدرج وما يعانون من صعوبات في انجاز الأبحاث المختلفة وإنما يقال أيضا على كثير منا نحن المدرسين بالجامعة والمشرفين على الأبحاث)[11].

يقتضي الانصاف أن لا نحمل الطالب وحده المسئولية ، لأنه ليس الطرف الوحيد في العملية التعليمية ، على الرغم من كونه ملزم بالقيام بدوره في التكوين الذاتي ، فإن عضو هيئة التدريس يتحمل الجزء الأكبر من المسئولية في التكوين (والقصور الأكبر - في نظري - يتمثل في ضعف تأهيل الأساتذة والمعلمين وإعدادهم علميا ومنهجيا و بيداغوجيا ومعنويا في عصر العولمة الذي يحتاج إلى معلم من طراز خاص وقد أدى ذلك إلى عقم في طرائق التدريس وقتل الرغبة في التعلم لدى الطالب ، فالطريقة المعتمدة لدى كثير من أساتذة اللغة العربية لا تخرج في الغالب عن الالقاء والإملاء والتحفيظ والإرجاع الشيء الذي عطل ملكة التحليل والإبداع عند الطالب وتكريس للفكر ألاجترار ي و التكديسي لديه، أضف إلى ذلك المادة التعليمية المدرسة في كثير من الأحيان لا يوجد فيها تشويق ولا تجديد . فهي مادة ضحلة واختيارها قائم على الذوق الذي لا يستند على معايير الانتقاء الموضوعي) [12] .

يظهر من هذا الوصف لكفايات هيئة التدريس أن التشبث بالطريقة التقليدية - دون تطعيمها بما قدمه علم التدريس الحديث من نتائج أفادت منها اللغات الأخرى ، لأنها أثبتت جدواها - قد أدي إلى قصور في التأهيل المهني لدى عضو هيئة التدريس ، وبالتالي الحيلولة دون تحقيق نواتج مرضية ، ويبدو أن هذه الظاهرة ليست خاصة بأقسام اللغة العربية والأدب عربي في الجزائر ، بل عامة تعاني من سلبياتها أقسام اللغة العربية في الجامعات العربية الأخرى : (... بيد أن ذلك كله لم يشفع لأقسام اللغة العربية وآدابها في تطوير برامجها ولم يقدم لها من أسباب المنهج ما يؤمن تحديث أنظارها و استحداث برامج معرفية تشكل بالدهر وتنسجم مع نواميس الارتقاء وضرورات التطوير ومستجدات الحياة والواقع)[13]

.

على الرغم من أن إدارة الجودة[14] تقتضي مراجعة المحتويات التعليمية أو المقررات ، بصفة دورية إلى جانب ضرورة تدريب أعضاء هيئة التدريس على استعمال وسائل العرض الحديثة ، إلا أن هذا الأمر ظل إلى يومنا هذا خارج نطاق اهتمامات الإدارة ، وتضاف إلى عوامل التدني والضعف المذكورة ، عوامل مادية ، منها نقص الامكانات ، حتى القاعات والمدرجات غير متوفرة بشكل عادي ، وإن توفرت فهي لا تتسع لإيواء أعداد الطلبة ، الذين يوزعون على المجموعات و الأفواج بطريقة لا تراعى فيها المعايير الدولية ، مما يؤثر على التكوين في تخصص اللغة العربية وآدابها تأثيرا سلبيا ، إذ تتعذر إدارة المدرجات والقاعات والتحكم فيها - خلال التدريس والامتحانات - نظرا لاكتظاظها ، لذا فالبيئة التعليمية غير ملائمة ، ولا يمكن أن يكون التدريس في أقسام اللغة العربية وآدابها فعالا طالما هي تعاني من نقص الإمكانات ووسائل التدريس الحديثة ، وعليه فإن نوعية التدريس في أقسام العربية وآدابها في الجزائر لا تختلف عما هو سائد في الدول العربية : (تكاد صورة العربية المعتمة تختزل في بعدين أساسيين هما : البعد المالي والبعد المنهجي . يرى حسين نصار أن العربية وآدابها في الجامعات العربية تعاني نقصا شديد ا في وسائل تعليم العربية ، فضلا عن ضعف تمويل مشاريعها وفقر الميزانيات المخصصة لهذه الأقسام ، وهذا يؤدي إلى إضعاف تأثيرها وتسرب القلق إلى نفوس الطلبة الذين يدرسون فيها عندما يقومون بمقارنة أوضاعهم بزملائهم في التخصصات الأخرى

أما غياب الأبعاد الإبداعية في تخصص العربية وآدابها ، فعامل يضاف إلى البؤس الذي تعيشه هذه الأقسام التي يشدد مدرسوها على حفظ القواعد واستحضار الشواهد دون توجيه الطلبة إلى بلورة رؤاهم والتعبير عنها شفويا وتدوينا)[15] .

يطرح مشكل الكفايات الأخلاقية في أقسام اللغة العربية وآدابها ـ بوصفها جزء من الجامعة الجزائرية ـ يطرح بشدة لأنه أساس العملية التعليمية ، وهو على رأس الأسباب التي ساهمت في تدني مستوى خريجي هذه الأقسام : (... وفي هذا ، فإن العديد من الأساتذة يشاركون في الجريمة أثناء مراقبة وتقييم المعارف في المدرجات وخارجها ، فيغضون النظر عن الغش ، أو يتولون صراحة السماح لبعض الطلبة بالغش ، أو يساعدونهم للإجابة عن الأسئلة أو التدخل لصالحهم على مستوى الإدارة . والأخطر من هذا كله ، أن البعض منهم يقدم " علامات تقييمية " دون قراءة أوراق الامتحان أو دون امتحان إطلاقا ، والغريب في الأمر أن أحدهم قد يتولى" إسقاط " طلبة معينين ، ولكن في العادة وفي مثل هذه الحالات فإن الجميع ينتقل إلى الصف الموالي ، وقد كنت شخصيا شاهدا على حالتين من هذا النوع . هذه وتلك عينات من جرائم أخرى في حق الطلاب والجامعة والمجتمع .)[16] .

الكفاية المهنية تحتاج إلى قدر من القيم السامية ، من الأخلاق ، فالعلم إن لم تكتنفه شمائل تعلوه كان مطية الاخفاق ، يسمى ذلك القسط من القيم أخلاقيات المهنة ، لكن على الرغم مما تنص عليه التربية الإسلامية التي نشأنا عليها إذ يعد العمل عبادة : (لقد ركز الحس الاسلامي أن " التعليم والتعلم " لا يمكن أن يكون مجرد حرفة أو مهنة بل هو أصلا عبادة وتقرب إلى الله . وكما أن العالم في الاسلام يجب أن ينفر التعليم ويسعى إلى التزود من العلوم والمعارف فإن من الواجب عليه أن ينصرف إلى تعليم الآخرين ، ذلك أن من كتم علما عن أهله ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة)[17] ومن ضرورة الصدق والإخلاص في العمل والأمانة العلمية ، و للأسف نجد القيم الرصينة تكاد تنعدم عند الكثير من أعضاء هيئة التدريس حتى أنها أصبحت حديث العام والخاص ، فالصحف اليومية الجزائرية بدأت تفضح هذا الضعف الذي طالما تكتم عليه المسئولون وأغلبية أعضاء هيئة التدريس : (قلما يملك باحث هذه الشجاعة فيجابه بها الحقيقة المرة الغائبة أو المغيبة عن تفكيرنا ومعتقداتنا يقول أحمد عظيمي : " إن من الأسباب الأساسية لضعف الطلبة بجامعاتنا يعود إلى ضعف "الأساتذة " ويضيف كيف يعقل لأستاذ قضى عشرين سنة في التدريس بالجامعة ولم يخلف كتابا وراءه ؟ وكيف لأستاذ يمنح النقطة بالمحاباة والتزلف لأرباب المال والجاه ؟ هناك من الأساتذة من لايقرأ ولا يطالع ويكتفي بمنح الطالب قدر كفاية ما يضمن له النقطة والنجاح ، لا ما يضمن له الزاد العلمي والباع في التخصص ؟)[18]

تلخص هذه السطور معضلة انعدام أخلاقيات المهنة أي مجموعة المبادئ والقيم والممارسات الخلقية التي يجب أن تتوفر في عضو هيئة التدريس ،وإذا انتفت فالعواقب تكون وخيمة ، تنتفي الأمانة العلمية وتغيب النزاهة عند التقويم ، فيكون ذلك وقودا للفساد .

لعل الغائب الأكبر في معادلة تدني المستوى هو التقويم العلمي الشامل والجاد ، الدوري الذي يستند إلى الدراسات العلمية القائمة على التحري والمعاينة الميدانية : (وثمة قصور في عمليات التقويم الشامل التي تجري في المؤسسات التعليمية فالتلميذ ينتقل من صف إلى آخر دون بذل أي مجهود ، بمعنى أن الضعف تراكمي وجهود التقويم جهود مرتجلة وآنية ، وغير جدية تفتقر إلى الشمول والتكامل وتعتمد على الخبرات الشخصية أكثر من اعتمادها على التجريبات الميدانية والبحوث العلمية المخبرية الدقيقة في مناهجها والممحصة في نتائجها)[19] .

من الطبيعي أن يتراجع دور أقسام اللغة العربية وآدابها في الدفاع عن اللغة العربية والثقافة العربية ، لأن خريجيها يعانون من نقص روحي يتمثل في عدم وعيهم بمسئوليتهم تجاه لغتهم وثقافتهم ,ومن ضعف في التكوين المعرفي والمهني ، خاصة ما تعلق بأخلاقيات المهنة ، وما تعلق بالتحكم في تكنولوجيا

الاتصال والتعليم باعتبارها سلاح العصر لإعطاء مكانة للغات القومية ،إذ لم يعد اساتذة أقسام اللغة العربية قادرين على رفع الاهانة و التهميش اللذين تتعرض لهما اللغة العربية يوميا في عقر دارها بحيث يجبر أساتذة العربية على استعمال الوثائق الادارية كلها باللغة الفرنسية ، و لا أحد يحرك ساكنا في حين نجد أن هذا لو حدث مع أقسام اللغة الفرنسية ، أي لو أجبروا على كتابة المراسلات الداخلية بالعربية لأقام المفرنسون الدنيا وأقعدوها ، وبهذا الصدد يحضرني قول لأحد الباحثين العرب ، قول يعبر عن الهوان الذي آلت إليه اللغة العربية بسبب تخاذل أساتذة اللغة العربية وآدابها و تفريطهم في مشروع التعريب الذي ضحى من اجله جيل الاستقلال : (إن لغتنا الأم تتعرض للمهانة في قاعات دروسنا ، حيث يقتصر استخدامها على تدريس اللغة العربية ، وموقف جامعاتنا من التعريب معروف للجميع , إن قضية التعريب لم تعد نابعة من الحمية القومية أو المحافظة على الهوية الثقافية ...)[20]

قد يكون الدور السلبي لأعضاء هيئة التدريس بأقسام اللغة العربية والأدب العربي فيما يخص رفع راية اللغة العربية والثقافة العربية راجع أيضا إلى انعدام الوعي السياسي بالحقوق اللغوية والثقافية للأفراد والشعوب ، لو أدرجت في المقرر ضمن وحدة المعارف العامة مادة بعنوان " اللغة والسياسة " أو "الحقوق اللغوية " لما شهدنا الاضطهاد اللغوي والتضييق الذي تمارسه الأقليات على الأغلبية كما هي الحال في الجزائر حيث تضطهد الأغلبية المعربة من طرف الأقلية الفرانكفونية (ويمكن أن نعزو أسباب غياب الحقوق اللغوية في العالم العربي إلى عدم وجود سياسة لغوية تؤمن بدور اللغة ووظيفتها في خلق التجانس البنيوي بين الأفراد والجماعة البشرية وصناعة المشروع ا لحضاري النهضوي للأمة ... أما اللغة الأم فلا يوجد من المعاهدات والمواثيق الدولية ما يشير إليها لأنها ترتبط بسيادة الدول التي تعد فيها السيادة اللغوية ركنا جوهريا تحرص الدول على إبرازه والمحافظة عليه ، وبعبارة أخرى فإن عدم إيراد حقوق اللغة الأم في المعاهدات والمواثيق الأممية لحقوق الانسان يفسر في أن حماية اللغة الأم يعد من باب تحصيل الحاصل الذي تعمل الدول على انجازه وتحقيقه ...)[21] .

تم تشخيص الضعف الذي بلغته أقسام اللغة العربية وآدابها مرات عديدة ، منذ التسعينات ، وإشعار المسئولين المحليين , بالجامعة ـ جامعة قسنطينة وجامعة بجاية ـ ثم المسئول الأول على القطاع ، أي معالي وزير التعليم العالي في مراسلات موثقة ، وقد بدأت في الآونة الأخيرة إصلاحات نأمل أن تستمر وأن يجند لها أساتذة أكفاء ، قادرين على وضع استراتيجيات وخطط للتكفل بإعداد الأساتذة منهجيا لأنهم : (ثم إن هؤلاء الأساتذة الذين يشرفون على التدريس بالجامعة تكونوا بطريقة تقليدية تعرفها الجامعات الجزائرية منذ نشأتها وتعتمد بالدرجة الأولى على احراز الدرجات العلمية كالماجستير والدكتوراه أحيانا السنة الأولى ماجستير ويباشرون مهامهم في التدريس دون أي تكوين ديداكتيكي في طرق التدريس وعلم النفس)[22] و توحيد الجذع المشترك لهذه الأقسام بما يضمن معالم الهوية العربية الإسلامية ، مع ترك هامش لتطعيم البرامج من حين لآخر بمعارف جديدة كاللسانيات النظرية والتطبيقية وعلم النفس اللغوي واللسانيات الاجتماعية والحقول المعرفية الحيوية كعلم الاتصال وتكنولوجيا الاتصال ، ومبادئ الترجمة العامة والمتخصصة ـ البشرية والآلية ـ ، و بما ينسجم مع تطور المعارف ، وما تقتضيه مستجدات الواقع ، هذا من جهة ومن جهة أخرى خلق توان الشعب الأدبية واللغوية للحد من هيمنة أساتذة الأدب وتهميش أساتذة اللغة وهو واقع سائد في الجامعات العربية : (كذلك يورد اسماعيل عمايرة قضية نسبة مواد اللغة إلى مواد الأدب حيث تفوق مواد الأدب ومواد اللغة في العدد الامر الذي يؤدي إلى زيادة أساتذة الأدب على أساتذة اللغة ، كما يرى عمايرة أن أساتذة الأدب ينحازون في اختيار القضايا والظواهر والموضوعات والأعلام انحيازا كثيرا . أما عدم تشبع الطلبة

بمفاهيم اللسانيات والنقد ومدارسهما فذلك راجع إلى الخطة الدراسية التي صيغت لاستعراض القضايا والمفاهيم وليس إلى الدرس المعمق)[23] ، فكثرة عدد أساتذة الأدب مقارنة بعدد أساتذة اللغة تؤدي إلى هيمنتهم وتفردهم بقرارات ليست في صالح اللغة العربية ، بل مضرة بها ، نظرا لبعدهم عما يقتضيه مصير ها من معرفة باللسانيات الاجتماعية وبالسياسات اللغوية والتهيئة اللغوية و بالتخطيط العلمي لترقية اللفة والسير بها نحو التقدم والانتشار ، فهم كانوا ومازالوا يعارضون إدراج اللسانيات وعلم النفس التربوي وعلم التدريس والمناهج الاحصائية والإعلام الآلي وغيرها من معارف العصر ويتشبثون بالأدب الشعبي والأجنبي ، علاوة على التفنن في تقسيم الحقب والعصور والأجناس الأدبية ، على نحو يثقل المقرر ، ولا يترك مجالا للنحو والصرف والبلاغة وعلم المعاجم وعلم التفسير وعلوم النص واللسانيات والتعليمية أي علم التدريس والمعالجة الآلية للغة ... إلخ .

II ـ اقتراحات لتصبح أقسام اللغة العربية مراكز استقطاب :

بعد الاقرار بضعف المستوى و تدنيه وتصدعه ، ، وللأسباب التي أدت إليه ، من تسيب وغش واختلال في الممارسات لدى الطلبة وأعضاء التدريس والإدارة على حد سواء ، يمكن أن نقدم المقترحات التي نعتقد بأنها قد تساعد على تحسين الأوضاع بأقسام اللغة العربية وآدابها ، إن أخذت بعين الاعتبار ، ونلخصها على النحو الآتي :

1 ـ ضرورة إيجاد حلول للتناحر الفكري أو الأيديولوجي الذي يزيد من تمزق الثقافة العربية و تشتتها ويضعفها ، وذلك بالحوار الجاد والصريح بين الفرقاء .

2 ـ عقد ندوات دورية ، في القنوات التلفزيونية ، للتوعية حول دور أقسام اللغة العربية في رفع لواء الثقافة العربية الاسلامية ، وإشعار المثقفين ـ على اختلاف مواقعهم ـ بمسئوليتهم تجاه لغتهم القومية ولإحياء مشاعر الاعتزاز بها لديهم ,تكون الندوات تحت اشراف المجلس الدولي للغة العربية وبالتنسيق مع المجالس العليا للغة العربية في الجزائر، وفي غيرها من البلدان العربية ، أو بالتنسيق مع المجامع اللغوية في الدول العربية و، يمكن أن يساهم مكتب تنسيق التعريب في ذلك .

3 ـ ضرورة تطبيق إدارة الجودة الشاملة في أقسام اللغة العربية وآدابها لمعالجة البطالة ، التي يعاني منها خريجو هذه الأقسام بسبب زيادة المعروض عن الطلب ، واقتصار مجال التوظيف على التعليم ، تعليم العربية للناطقين بها ، على الرغم من وجود جمهور من الأجانب المقيمين في الجزائر، إما للعمل أو للدراسة الوافدين من الدول الإفريقية ومن الصين و بعض الأوربيين فالتكوين غير مساير لمتطلبات العصر إذ توجد ميادين أخرى يمكن التوظيف فيها ، كالنشر وصناعة الكتاب أو ما يسمى في العالم الآخر مهنة الكتاب ، وكذلك مهنة منشط في دور الشباب والثقافة ...إلخ

4 ـ البدء بإرساء إدارة الجودة [24] الشاملة بقطاع الخدمات والإدارة لأقسام اللغة العربية وآدابها ، قبل القطاع الأكاديمي ، لأن الخدمات الإدارية هي القاسم المشترك لمكونات الأداء الجامعي، مع العلم أن هذه الأقسام تابعة لإدارة الجامعة ولا يمكنها أن تتقد م في مجال إدارة الجودة الشاملة ، مادامت الجامعات التي تنتمي إليها هذه الأقسام : (... ويشير الخطيب إلى أن هناك قناعة في الأوساط الاجتماعية والأكاديمية في الوطن العربي مؤداها أن إدارة الجامعات تفتقر إلى الكفاءة وان غالبية الجامعات العربية تعاني من انعدام الاستقلال الذاتي وضخامة الأنظمة والتعليمات وغموضها وتناقضها .)[25] .

5 ـ تحفيز الإدارة على التغيير ، وتحسين الأداء لأن التغيير ليس بالأمر الهين ، و يمكن تطبيق اسس الجودة الشاملة بتوفر شرطين :

أ ـ الرغبة الفعلية لدى الادارة في التغيير لأن أي برنامج للجودة الشاملة ينطوي على تغيير جذري للقيم الإدارية وللأنماط التنظيمية وأساليب العمل

ب ـ المتابعة المنتظمة من طرف هيئة الاشراف العليا ، لمعاينة ما يتم تحقيقه من أهداف برنامج الجودة الشاملة ثم تصحيح الأخطاء واتخاذ الاجراءات لتثبيت ما صلح .

6ـ اعادة النظر في طبيعة المعارف التي تقدم لطلبة اللغة العربية وآدابها بما يلائم حاجة الطلبة وتطوير برامج اللغة العربية وتحسينها ، بمتابعة التقدم الهائل ، الذي حققته علوم اللسان وكيفية استفادة اللغات الأجنبية منها درسا وتدريسا : (يقول مطلوب عدم انفتاح أقسام اللغة العربية على أقسام اللغات الأجنبية فيما يتعلق بطرائق التدريس ، والوسائل التعليمية المتطورة وتهيئة الظروف الملائمة للأساتذة والطلبة

والوقوف على المستوى العلمي للمتخرجين وأسباب نهوضه أو تدنيه ... فضلا عن الاطلاع على المواد الدراسية التي تحظى باهتمام بالغ في تلك اللغات وملاءمتها للعصر ومتطلبات الحيات العملية الجديدة) [26] .

7ـ تقويم مستوى أخلاقيات مهنة التدريس بالجامعة خاصة تلك التي يختلط فيها الجنسان ، وإلزام أعضاء هيئة التدريس باحترام أخلاقيات المهنة بوضع قوانين ردعية ، تحدد عقوبات خاصة بكل نوع من السلوك المخل بها .

8 ـ العمل تأسيس جمعيات محلية للدفاع عن الحاملين لراية اللغة العربية والثقافة العربية ، لأن الكثير منهم يعاني من الاضطهاد والتضييق .

إيجاد حل للحد من هيمنة أساتذة الأدب على أقسام اللغة العربية ، نظرا لكثرة عددهم وتفردهم بالقرار ، ، وتهميشهم لأساتذة علوم اللغة ، وذلك لاعتبارات ضيقة ، سببت أضرارا للغة العربية والثقافة العربية ، قد يكون الحل في خلق أقسام االغة العربية وعلومها ، أقسام مستقلة عن أقسام الأدب .

وفي الأخير يمكن القول أن التشخيص أعلاه ، أفضى إلى أن الضعف وتدني المستوى وتصدع أخلاقيات المهنة في اقسام اللغة العربية وآدابها سببها هو غياب الشعور بالمسئولية تجاه اللغة العربية والثقافة العربية ، تدهور القيم اللازمة لاستتباب العلوم والحضارة ، انعدام التقويم الموضوعي ، الدوري ، ثم تكريس التلقين والاجترار وعدم تجديد المقررات والمناهج ، أي الاجتهاد من أجل التطوير والتحسين .

المراجع

1 ـ **د . عفاف الياور** : معوقات التعليم الجامعي المفتوح في فرع الجامعة العربية المفتوحة بجدة من منظور الطلاب والطالبات ، مجلة رسالة الخليج ، عدد 112 ، ص 3 .

2ـ **د . نبيل علي** : الثقافة العربية وعصر المعلومات ، عالم المعرفة يناير 2001 ، ص2422

3 - **هيثم سرحان** : العربية وآدابها في الجامعات العربية ، مجلة الكوفة ، السنة الثانية العدد 3 ، صيف 2013 ، 61

4 - **د . هشام جعيط** : الشخصية العربية الاسلامية والمصير العربي ، ترجمة المنجي الصيادي ، دار الطليعة للطبع والنشر ، لبنان ، ط ، 1 1984 ،

ص 74 .

5- **د . نبيل علي** : الثقافة العربية وعصر المعلومات ، ص 168 .

6 - **هيثم سرحان** : تخصص العربية وآدابها في الجامعات العربية ص 64 .

7 – نفسه ، ص 64 - 65 .

7- د . **اسماعيل علي** : التفكير التربوي العربي ، عالم المعرفة ، 1987 ، ص 303 .

8- **محمد صاري** : التقويم وأثره في تحسين أداء الأستاذ الجامعي ، مجلة مخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري ، جامعة بسكرة العدد الثاني 2005 .

9 - نفسه، ص3 .

10- **بشير إبرير** : علم المصطلح وممارسة البحث في اللغة والأدب ، مجلة مخبر ابحاث في اللغة والأدب جامعة بسكرة العدد الثاني 2005 .

11 - نفسه ، ص7 .

12 - **د . محمد صاري** : التقويم وأثره في تحسين أداء الاستاذ الجامعي ، ص4 .

13 - **هيثم سرحان** : تخصص اللغة العربية وآدابها في الجامعات العربية ، ص 62

14: **د . محمد عوض الترتوري** و **د . أغادير عرفات جويحات** : إدارة الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم العالي والمكتبات ومراكز المعلومات دار المسيرة اللنشر والتوزيع والطباعة ط1 2006 ، ،ص ص 99 -100 .

15 - **هيثم سرحان** : تفصص اللغة العربية وآدابها في الجامعات العربية ، ص 65 .

16 - **د . محمد بوعشة** : أزمة التعليم العالي في الجزائر والعالم العربي ، بين الضياع وأمل المستقبل ، دار الجيل - بيروت ، 200 ، ط1 ص 49 .

17 - أ . **د . رشدي أحمد طعيمة** وآخرون : الجودة الشاملة في التعليم دارالمسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ، ط 1 ، 2006، ص 197 - 198 .

18 - **عثمان آيت مهدي** : هل مرض الجامعة الجزائرية في أساتذتها ، المثقف صحيفة ثقافية سياسية مستقلة ، العدد 2698 الجمعة 24 / 01 / 2014 .

19 - **د . محمد صاري** : التقويم وأثره في تحسين آداء الأستاذ الجامعي ، مجلة مخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري ، ص 4 .

20 - **د .نبيل علي** : الثقافة العربية وعصر المعلومات ، ص 332 ،

21 - **هيثم سرحان** : تخصص اللغة العربية وآدابها في الجامعات ، ص 70 .

22 - **د . محمد صاري** : التقويم وأثره في تحسين أداء الأستاذ الجامعي ، ص 3 .

23 - **هيثم سرحان** : تخصص اللغة العربية وآدابها في الجامعات ، ص 61 .

24 - **د . محمد عوض الترتوري** ، **د . أغادير جويحات** : إدارة الجودة الشاملة ص ص 142 - 143 .

25 - نفسه ، ص 144 .

26 - **هيثم سرحان** : تخصص اللغة العربية وآدابها في الجامعات العربية ، ص69 .